(رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ (١٩٢) رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأبْرَارِ (١٩٣) رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلاَ تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ الْمِيعَادَ (١٩٤)) .

[آل عمران : ١٩٢- ١٩٤] .

(رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ) أي : أهنته وأظهرت خزيه لأهل الجمع .

- **قال ابن عاشور** : قولهم (ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته) مسوق مساق التعليل لسؤال الوقاية من النار ، كما توذن به (إنّ) المستعملة لإرادة الاهتمام إذ لا مقام للتأكيد هنا.
- **قال الشوكاني** : بيان للسبب الذي لأجله دعاه عباده بأن يقيهم عذاب النار ، وهو أن من أدخله النار فقد أخزاه ، أي : أذله وأهانه .
- **قال الرازي** : اعلم أنهم لما سألوا ربهم أن يقيهم عذاب النار أتبعوا ذلك بما يدل على عظم ذلك العقاب وشدته وهو الخزي، ليكون موقع السؤال أعظم ، لأن من سأل ربه أن يفعل شيئاً أو أن لا يفعله ، إذا شرح عظم ذلك المطلوب وقوته كانت داعيته في ذلك الدعاء أكمل وإخلاصه في طلبه أشد ، والدعاء لا يتصل بالإجابة إلا إذا كان مقروناً بالإخلاص ، فهذا تعليم من الله عباده في كيفية إيراد الدعاء.
- قال ابن الجوزي قوله تعالى (فقد أخزيته) فيما يتعلق به هذا الخزي قولان :

أحدهما : أنه يتعلق بمن يدخلها مخلداً .

والثاني : أنه يتعلق بكل داخل إليها ، وهذا المعنى مروي عن جابر بن عبد الله ، واختاره ابن جرير .

(وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ) أي : يوم القيامة لا مُجير لهم منك ، ولا محيد لهم عما أردت بهم .

والمراد بالظلم هنا الشرك ، فإن الشرك ظلم، لأن أصل الظلم وضع الشيء في غير موضعه، والمشرك ظالم، لأنه وضع العبادة التي هي حق لله تعالى وحده، وضعها في المخلوق الضعيف الفقير أو وضعها لصنم أو حجر أو شجر، ولأجل هذا البيان فإن القرآن يكثر الله فيه إطلاق الظلم على الشرك .

كما قال تعالى عن العبد الصالح (إن الشرك لظلم عظيم) .

وثبت في صحيح البخاري أن النبي ﷺ فسر قوله (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) قال : بشرك ، ثم تلا قول لقمان (إن الشرك لظلم عظيم) .

وقال تعالى (ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين) أي : من المشركين .

ولم يأت الظلم في القرآن إلا بهذا المعنى ، إلا في موضع واحد في سورة الكهف ، بمعنى النقص ، كما قال تعالى (كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئاً) أي ولم تنقص .

- وقد يطلق الظلم على ظلم الإنسان نفسه ببعض المعاصي التي لا تبلغ الكفر ، ومنه قوله تعالى (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ) بدليل قوله في الجميع (جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا) ، لأن هذا أطاع الشيطان وعصى ربه فقد وضع الطاعة في غير موضعها .

(رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِي لِلْإِيمَانِ) أي : داعياً يدعو إلى الإيمان ، وهو الرسول ﷺ .

فالأكثر أن الداعي هو محمد عليه الصلاة والسلام .

والدليل عليه قوله تعالى (ادع إلى سَبِيلِ رَبّكَ) (وَدَاعِياً إِلَى الله بِإِذْنِهِ) (أَدْعُو إلى الله) .

- **قال البغوي** : يعني محمداً ، قاله ابن مسعود وابن عباس وأكثر المفسرين .
- **قال الشوكاني** : المنادي عند أكثر المفسرين هو النبي ﷺ ، وقيل : هو القرآن .
- قوله تعالى (**يُنَادِي لِلْإِيمَانِ**) أي: (إلى) الإيمان كقوله تعالى (بأن ربك أوحى لها) أي: أوحى إليها، وكقول المؤمنين (الحمد لله الذي هدانا لهذا) أي: إلى هذا، وقيل: اللام للعلة، أي: لأجل الإيمان.

(**أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ**) أي : يقول : آمنوا .

(**فَآمَنَّا**) أي : فاستجبنا له واتبعناه .

(**رَبَّنَا**) تكرير النداء ب (ربنا) لإظهار التضرع والخضوع .

(**فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا**) أي : بإيماننا واتباعنا نبيك فاغفر لنا ذنوبنا ، أي : استرها وامحها .

(**وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا**) جمع سيئة ، وسميت سيئة ،لأنها تسوء صاحبها في الدنيا وفي الآخرة ، في الدنيا بظهور آثارها عليه من الهمّ والضيق في الصدر والخلق والرزق ، فيفقد من السعادة في الحياة بقدر ما عمل من السوء ، قال تعالى (فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ) وقال تعالى (أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ) . وتسوؤه آجلاً بعد موته لمعاقبته عليها إن لم يتب منها أو يتداركه الله بعفوه ، وربما تسوء غيره بأن يتعدى ضررها إلى الغير مباشرة ، أو بأن يكون لها أثرها السيء على البلاد والعباد عامة بمحق البركات وقلة الخيرات ، كما قال تعالى (ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) وقال ﷺ (ما منع قوم زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء) رواه ابن ماجه

- اختلف في المراد بالذنوب والسيئات هنا على أقوال :

قيل : المراد بالذنوب هنا الكبائر وبالسيئات الصغائر ، كما قال تعالى (إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلاً كَرِيماً) . فطلبوا تكفير الصغائر ، لأن الصغائر تكفرها الطاعات .

وقيل : أن المراد بهما شيء واحد وإنما أعيد ذلك للتأكيد لأن الالحاح في الدعاء والمبالغة فيه مندوب .

قال الشوكاني : والظاهر عدم اختصاص أحد اللفظين بأحد الأمرين ، والآخر بالآخر ، بل يكون المعنى في الذنوب والسيئات واحداً ، والتكرير للمبالغة والتأكيد .

وقيل : المراد بالأول ما تقدم من الذنوب ، وبالثاني المستأنف .

وقيل : أن يريد بالغفران ما يزول بالتوبة ، وبالكفران ما تكفره الطاعة العظيمة .

وقيل : أن يكون المراد بالأول ما أتى به الإنسان مع العلم بكونه معصية وذنباً ، وبالثاني : ما أتى به الإنسان مع جهله بكونه معصية وذنباً .

(**وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ**) أي : ألحقنا بالصالحين المكثرين من الطاعات والأعمال الصالحات .

والأبرار : جمع بار أو بر ، وأصله من الاتساع ، فكأن البار متسع في طاعة الله ومتسعة له رحمته .

- وليس في هذا دعاء بالموت ، وإنما هو نظير قول يوسف عليه السلام (توفني مسلماً وألحقني بالصالحين) .
- في هذا جواز التوسل بالعمل الصالح ، فالتوسل المشروع أنواع :

الأول : التوسل إلى الله باسم من أسمائه الحسنى ، أو صفة من صفاته العليا .

كأن يقول المسلم في دعائه (اللهم إني أسألك بأنك أنت الرحمن الرحيم ، اللطيف الخبير ، أن تعافيني) ودليل مشروعية هذا

النوع من التوسل :

قوله تعالى (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها) .

والمعنى : ادعوا الله تعالى متوسلين إليه بأسمائه الحسنى .

ومن الأدلة قول النبي ﷺ في أحد أدعيته الثابتة عنه قبل السلام من صلاته ﷺ : (اللهم بعلمك الغيب ، وقدرتك على الخلق ، أحيني ما علمت الحياة خيراً لي ، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي ...) رواه النسائي .

ومنها أنه ﷺ سمع رجلاً يقول في تشهده : اللهم إني أسألك يا الله الواحد الأحد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، أن تغفر لي ذنوبي ، إنك أنت الغفور الرحيم ، فقال ﷺ : (قد غفر له قد غفر له) . رواه أبو داود

ومنها ما رواه أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا حزبه أمر قال : (يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث) رواه الترمذي .

بهذه الأحاديث وما شابهها تبين مشروعية التوسل إلى الله باسم من أسمائه أو صفة من صفاته .

الثاني : التوسل إلى الله بعمل صالح قام به الداعي .

كأن يقول المسلم (اللهم بإيماني بك ، ومحبتي لك ، واتباعي لرسولك اغفر لي) . وأدلة هذا النوع :

قوله تعالى (الذين يقولون ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار) .

وقال تعالى (ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين) .

ومن ذلك حديث أصحاب الغار الثلاثة ، حيث انطبقت عليهم الصخرة فسدّت عليهم باب الغار ، فلم يستطيعوا الخروج ، فتوسلوا إلى الله بصالح الأعمال ففرج الله عنهم فخرجوا يمشون . متفق عليه

الثالث : التوسل إلى الله تعالى بدعاء الرجل الصالح .

كأن يقع المسلم في ضيق شديد أو تحل به مصيبة كبيرة ، ويعلم من نفسه التفريط في جنب الله ، فيحب أن يأخذ بسبب قوي إلى الله فيذهب إلى رجل يعتقد فيه الصلاح والتقوى ، فيطلب منه أن يدعو له ربه .

فهذا مشروع وقد دلت عليه الشريعة المطهرة .

فمن ذلك ما رواه أنس رضي الله عنه قال (أصاب الناس سنة على عهد النبي ﷺ ، فبينما النبي ﷺ يخطب على المنبر قائماً يوم الجمعة ، دخل أعرابي فاستقبل رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، هلك المال وجاع العيال وانقطعت السبل فادع الله لنا ...) متفق عليه .

ومن ذلك ما رواه أنس : (أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب ، فقال : اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا ﷺ فتسقينا ، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا ، فيسقون) رواه البخاري .

ومعنى قول عمر : إنا كنا نتوسل إليك بنبينا ﷺ وإنا نتوسل إليك بعم نبينا ، أي : كنا نقصد نبينا ونطلب منه أن يدعو لنا ، ونتقرب إلى الله بدعائه ، والآن وقد انتقل ﷺ إلى الرفيق الأعلى ، ولم يعد من الممكن أن يدعو لنا ، فإننا نتوجه إلى عم نبينا العباس ، ونطلب منه أن يدعو لنا .

وليس معناه أنهم كانوا يقولون في دعائهم : اللهم بجاه نبيك أسقنا ، ثم أصبحوا يقولون بعد وفاته ﷺ : اللهم بجاه العباس أسقنا لأن مثل هذا الدعاء مبتدع ليس له أصل في الكتاب ولا في السنة .

ومن ذلك ما رواه الحافظ بن عساكر في تاريخه (١/١٥١/١٨) بسند صحيح عن التابعي الجليل سليم بن عامر : (أن السماء قحطت فخرج معاوية بن أبي سفيان وأهل دمشق يستسقون ، فلما قعد معاوية على المنبر قال : أين يزيد بن الأسود الجرشي ؟ فناداه الناس ، فأقبل يتخطى ، فأمره معاوية فصعد على المنبر ، فقعد عند رجليه ، فقال معاوية : اللهم إنا نستشفع إليك اليوم بخيرنا وأفضلنا ، اللهم إنا نستشفع إليك اليوم بيزيد بن الأسود الجرشي ، يا يزيد ارفع يديك إلى الله ، فرفع يديه ، ورفع الناس

أيديهم ، فما كان أوشك أن ثاوت سحابة في الغرب كأنها ترس ، وهبت لها ريح ، فسقتنا حتى كاد الناس أن لا يبلغوا منازلهم) فهذا معاوية ﷺ لا يتوسل بالنبي ﷺ ، وإنما يتوسل بهذا الرجل الصالح .

(**رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ**) قيل : معناه : على الإيمان برسلك ، وقيل : معناه : على ألسنة رسلك ، وهذا أظهر

- **قال ابن القيم** : المعنى : وآتنا ما وعدتنا على ألسنة رسلك من دخول الجنة .

وقالت طائفة : معناه : وآتنا ما وعدتنا على الإيمان برسلك .

ويترجح الأول بأنه قد تقدم قولهم (رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا) وهذا صريح في الإيمان بالرسول والمرسل .

- **قال القرطبي** : إن قيل : ما وجه قولهم (رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا على رُسُلِكَ) وقد علموا أنه لا يخلف الميعاد ؛ فالجواب من ثلاثة أوجه :

الأوّل : أن الله سبحانه وعد من آمن بالجنة ، فسألوا أن يكونوا ممن وُعِد بذلك دون الْخزِي والعِقاب.

الثاني : أنهم دعوا بهذا الدعاء على جهة العبادة والخضوع ؛ والدعاء مُخّ العبادة.

وهذا كقوله (قَالَ رَبِّ احكم بالحق) وإن كان هو لا يقضِي إلاَّ بالحق.

الثالث : سألوا أن يُعطوا ما وعِدوا به من النصر على عدوّهم معجَّلا ؛ لأنها حكاية عن أصحاب النبيّ ﷺ ، فسألوه ذلك إعزازاً للدّين. والله أعلم.

(**وَلا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ**) أي : على رؤوس الخلائق .

(**إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ**) فالله لا يخلف الميعاد لكمال صدقه وكمال قدرته ، لأن الذي يخلف الميعاد إما أن يكون لكذب الواعد ، أو لعجزه .

الفوائد :

١- أن النار دار الخزي .

٢- على المسلم أن يدعو الله أن يقيهم عذاب النار .

٣- إثبات النار .

٤- تحريم الظلم بكل أنواعه وأعظمه الشرك .

٥- أن الظلم سبب لدخول النار .

٦- وجوب الإيمان بالله .

٧- جواز التوسل بالعمل الصالح .

٨- أن الإيمان من أفضل الأعمال .

٩- كل أحد يحتاج لمغفرة الذنوب .

١٠- أن الذنوب تنقسم إلى صغائر وكبائر .

١١- تمني الموت على الإسلام والسنة .

١٢- ينبغي للداعي أن يكثر من الثناء على الله .

١٣- أن الرسل هم الواسطة بين الله وبين خلقه .

١٤- إثبات يوم القيامة .

١٥- فضيلة الخوف من الله .

١٦- أن الله لا يخلف الميعاد